جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية
قسم الفلسفة

مقياس عن بعد:الفلسفة و البيوإتيقا

الموسم الجامعي: 2027/2026

المستوى: السنة الثانية ليسانس LMDS 5

/ السداسي الأول

أستاذة المقياس :د. بن عيسى خيرة

المحاضرة الخامسة:أهم مجالات/موضوعات البيوإيتيقا

لقد بينا في المحاضرات السابقة أن البيوإتيقا ظهرت إثر التحولات التي عرفها العالم في مجال البيولوجيا والعلوم البيوطبية والتكنولوجيا الحيوية، والتي ارتبطت بالإنسان ككائن حي قابل لتدخلات طبية، ولأن التقدم العلمي المعاصر سمح بممارسات وأفضى إلى نتائج من إمكانها إحداث تغيير أو تعديل في بعض عناصر البيولوجيا البشرية وتطويرها كذلك، بل أصبح من الممكن إيقاف النمو الطبيعي وصناعة نمو جديد بشكل اصطناعي.

أمام هذه التحديات البيوطبية ظهرت الحاجة إلى منظومة أخلاقية من شأنها النظر في التطورات العلمية المعاصرة وتحليلها وكشف تجاوزاتها وأهميتها حفاظا على قيمة الإنسان من جهة، وفرض مسؤولية أخلاقية على العلوم الطبية والبيولوجيا والتكنولوجيا الحيوية من جهة أخرى.

انطلاقا من هذا يتضح أن البيوإتيقا هي مجال بحثي يضم تخصصات متعددة أو يشتغل ضمن حقول معرفية مختلفة، هو يؤسس كل عمله على نتائج العلوم الحيوية، والفلسفة كمرجعية أساسية وكأداة تحليل نظرية تشرف على أخلقة مجال العلوم الحيوية، ولا شك أن القانون والدين وحتى العادات والتقاليد سيكون لها هي الأخرى دور أساسي في ربط الأبحاث العلمية بضوابط وحدود، وضعت في الأصل للحفاظ على الإنسانية واحترام حقوق البشرية وتحديد معاني المسؤولية والحق والواجب وغيرها.

وعليه البيوإتيقا ليست قوانين أخلاقية تُقنن مهنة الطب، بل هي فلسفة أخلاقية تدافع عن معنى الإنسان ومعنى الإنسانية.

يمكن التمييز بين:"تخصصات متنوعة في الأخلاقيات الحيوية، علم حديثي الولادة،الآيتز، الرعاية التلطيفية Soins palliatifs *،الأدوية الجديدة، الصحة العامة... إلخ"[1]، ولكن يمكن حصر كل هذه المجالات في: "ثلاث مجالات تخصص: الأخلاق السريرية L'éthique clinique ،أخلاقيات البحث L'éthique de la recherche، أخلاقيات السياسة الصحية L'éthique de politique de santé "[2]، وفيما يلي تعريف مختصر لهذه المجالات الأساسية الثلاث:

أخلاق العيادة /الأخلاق السريرية L'éthique clinique:

يرتبط هذا المجال بالمسائل الأخلاقية التي تواجه الأطباء في علاقتهم مع المريض أو أسرته، وقد تكون على مستوى العيادة، المستشفى، مكتب الاستشارات الطبية، أو حتى منزل المريض، تتعلق بصعوبة أخذ الطبيب القرار السليم مع بعض الحالات المرضية كالأطفال الذين يولدون بتشوهات خلقية، هل يمكن إنهاء حياتهم أمام المعاناة التي يعانونها وأسرتهم في المستقبل؟ كيف نتعامل مع المريض المصاب بحالات عصبية؟ هل يمكن تكبيله وحقنه لتهدئته، هل المريض له الحق في معرفة حقيقة مرضه؟ وهل يمكن إخبار أسرته بالتفاصيل؟

"وهكذا فإن أخلاق العيادة ذات أطراف ثلاثة هي: (المريض الطبيب والمجتمع) وإن كانت كل هذه الأطراف تناقش وتختلف وتقرر؛ حالة المريض الصحية والأزمة وكيفية القضاء عليها".[3]

يمكن القول أن هذا المجال يعمل على وضع القرار الأخلاقي في خلال الممارسة الطبية، ومن ثمة هو محاولة تربط المعرفة الطبية بالقيم، متجاوزة فكرة التعامل مع الإنسان كجسد قابل للتجريب والتمريض، إلى كونه المركز وقيمة في ذاته.

إن الأخلاق السريرية تضع معايير قيمية للطب لضبطه وتحديده، وتكمن الصعوبة في أنها تشتغل على الحالة في الواقع، مما يجعل القيم معقدة ومتشابكة فيما بينها وهو ما يُصعب مهمة اتخاذ القرار.

---

* الرعاية التلطيفة
هي حلول مؤقتة أو إجراءات تُتخذ للتخفيف من حالة مرضية دون حلها نهائيا، وهي غالبا ما تقدم للمرضى في المراحل المتقدمة من المرض بهدف تخفيف المعاناة وتسهيل الحياة.

[1] GUY Durant, introduction générale à la bioéthique,
[2] GUY Durant, introduction générale à la bioéthique,
[3] الأخلاق التطبيقية بين الفلسفة والدين، محمد محي الدين

أخلاقيات البحث L'éthique de la recherche:

إذا كانت الأخلاقيات السريرية تتعامل مع المريض بالدرجة الأولى، فإن أخلاقيات البحث تتعامل مع الأشخاص أو بالأحرى مع أولئك الذين يشاركون في الأبحاث العلمية الطبية، الذين تجرى عليهم اختبارات طبية أو تجارب سريرية أو مقابلات نفسية أو يقدمون استبيانات تتضمن معلومات شخصية، أو تأخذ عينات من دمهم...إلخ، فهؤلاء هم بمثابة المادة التي تساعد الباحثين على إجراء اختباراتهم وتطوير بحوثهم.

هؤلاء المشاركون في البحوث الطبية يساهمون في ذلك بإرادتهم، ولهم كل الحرية في اتخاذ القرار دون أي ضغط، فالمشارك ليس أداة للاستعمال الطبي والتجريب، بل هو فاعل ومشارك في البحث العلمي، ولهذا تُعرف أخلاقيات البحث بأنها: "التأمل الأخلاقي المُطبق عل أنشطة البحث والتجريب التي موضوعها الإنسان وعناصر جسمه، فهي تضع المبادئ والقيم محل تساؤل، وغالبا ما تشير إلى المعضلات القائمة بين الحماية والأفراد وتطور المعرفة، وبين المصلحة الفردية والمصلحة العامة"[4]

نشير إلى أن هذا المجال قد ظهر كرد فعل على الاستغلال الذي عرفته البشرية خلال تاريخها كاستغلال الأطفال و السجناء والتجارب على السود وتجارب النازية مثلا، وعليه يمكن القول أن أخلاقيات البحث هي حماية المشاركين والحفاظ على قيمتهم كبشر ضد الاستغلال والممارسة غير اللائقة، فهي تساهم في وضع القوانين والمبادئ القيمية للباحثين، وربما هذه الفكرة تتفق مع التصور الذي وضعه "فان بوتر"(أشرا إليه في المحاضرات السابقة) حول البيوإتيقا في أنها جسر نحو المستقبل، فهي في نظره ربط المعرفة العلمية بالمعرفة القيمية.

أخلاقيات السياسة الصحية L'éthique de politique de santé :

تعرف على أنها:" مجموعة من القوانين التنظيمية وروابط التسيير التي تم وضعها من طرف جهات مختلفة، والتي تكون موجهة للسكان عامة دون التمييز بين أفراد معينين"[5]

يهتم هذا المجال بكل ما هو مرتبط بقضايا الصحة العمومية، كتوزيع الخدمات الصحية بين الجميع بشكل عادل وأخلاقي، السرية في حفظ وحماية بيانات المرضى،توزيع اللقاحات..إلخ، فهي تربط العلم بالقضايا الاجتماعية والسياسية للأفراد، ومن ثمة هي تحاول أن تفرض نظاما عادلا وتوازنا بين تطور العلم والكرامة الإنسانية و المصلحة العامة، بحيث يكون الإنسان مبدأ و غاية في الآن ذاته.

---

[4] GUY Durant, introduction générale à la bioéthique,
[5] GUY Durant, introduction générale à la bioéthique,

يتم في أخلاقيات السياسة الصحية ربط مجال البيولوجيا الحيوية بالأسئلة القيمة كضابط لها من أي تجاوز محتمل لحقوق الإنسان وكرامته في العيش والصحة والبقاء، ومن ثمة يمكن التمييز في هذا المجال بين ثلاث عناصر أساسية:

"الصحة العامة: بمعنى كل الإجراءات الجماعية التي تتخذها السلطات العامة والصحية، والتي تهدف إلى ضمان شروط صحية مناسبة للسكان ... نظام الرعاية الصحية : يرتبط بالمبادئ المعتمدة والتنظيم الملموس للرعاية الصحية في منطقة ما...، تخصيص الموارد الصحية في منطقة ما أو بلد ما"[6].

كخلاصة يمكن القول أن البيوإتيقا هي محاولة لجعل البيولوجيا محل مساءلة ونقاش، فهي تطرح أسئلة فلسفية خالصة كسؤال الحياة باعتبار أن هذه الأخيرة مشتركة بين المعرفة العلمية والمعرفة القيمية ،فالبيوإتيقا عندما تطرح سؤال الحياة تجعل العلم يراجع الكثير من ممارساته وتطوراته حول الإنسان ، ومن ثمة تفهم البيولوجيا الجسد مثلا، لا على أنه أداة بحث مخبرية ،بل على أنه كيان وملكية خاصة لا يمكن التصرف فيها دون إذن.

وعليه تعتبر البيوإتيقا بحث فلسفي يثير مفاهيم أخلاقية مرتبطة بقيمة الإنسان، كالحرية والحياة والمسؤولية والعدالة والجسد والعلم..إلخ، فالبيوإتيقا لا تقوم بدور العلم بل هي تحمي الإنسان من العلم ذاته: هي نظام فكري قيمي يهتم بحماية الإنسان من العلم.

---

[6] GUY Durant, introduction générale à la bioéthique,p